# علم اجتماع المعرفة عند علي الوردي

أ.م.د. شفيق إبراهيم صالح الجبوري (*)

## المقدمة

يعد الدكتور علي الوردي ظاهرة اجتماعية بحد ذاتها تستحق الدرس الاجتماعي، والدرس التاريخي، والدرس النفسي، والدرس الفلسفي إلى حد ما .

وكان لإنتاجه العلمي صدى نقدي واسع بين مؤيد ومعارض. أما المؤيد فلا نختلف معه على عموميات فكر الوردي ، وان كنا نتباين حول جزيئات وتفاصيل تلك العموميات ، من حيث محاور تناولها ، فمنهم من حاول دراسة تلك الجزيئات من زوايا إحصائية [1] وأخر من زوايا تاريخية حين نظر إلى عمله من زاوية توثيقية. أما المعارض فنحن نختلف معه حول عموميات أفكارهم ، ولنا على ذلك تعليق، فمن خلال استعراضنا لنقدهم توصلنا إلى نتيجة حول طبيعة نقدهم ، وتتلخص النتيجة بما يأتي :

---

(*) أستاذ مساعد في قسم علم الاجتماع – كلية الآداب / جامعة الموصل.

(1) ينظر / منى محمود العيني / التحضر في المجتمع العراقي في ضوء نظرية الوردي في الانتقال من البداوة إلى الحضارة / أطروحة دكتوراة غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب / جامعة بغداد 1997

1– إما أنهم تناولوا أو بحثوا عن جمل أو فقرات هنا وهناك دون إن يراعوا ما قبلها أو بعدها من معاني اجتماعية ، ولم يفطنوا إن التجزيء يسيى إلى المعنى أو تناسوا ذلك[2].

**2-** وإما أنهم رفضوا مسبقا أراء الوردي فجاء نقدهم متحيزا[3].

يمكن القول أن الوردي لم يكتب في علم اجتماع المعرفة كعلم نظري ، وإنما تناوله كمنهج بحث فجاء ممتداً على طول مؤلفاته وعرضها تارة مدرك وتارة أخرى اشغله الانهماك ببحث جزئية أو مفردة عن علم اجتماع المعرفة لقد تشكل علم اجتماع المعرفة عند الوردي في قسمين:

**القسم الأول**: هو مقومات علم اجتماع المعرفة وتضمن بحث مواضيع نظرية متصلة بالطابع التنظيري وهي الفكر الاجتماعي، الإطار الفكري، والمنهج .

**القسم الثاني** : هو ملامح علم اجتماع المعرفة ، وتضمن بحث مواضيع وان كانت نظرية إلا أنها اتصلت بالواقع ، فكانت مؤشراً على الواقعية ، أو لنقل تطبيقية مع تحفظنا عل ى مصطلح ( التطبيق ) وهي . خوارق اللاشعور ، المعرفة الاجتماعية ، والواقع الاجتماعي.

(2) حميد المطبعي / عن الوردي يدافع عن نفسه / المؤسسة العربية للدراسات والنشر / بغداد 1987 ص 7 – 14

(3) د . معن خليل عمر / رواد علم الاجتماع في العراق / دار الشؤون الثقافية العامة / بغداد ط1 1990 ص94 .

# القسم الأول

## 1 – مقومات علم اجتماع المعرفة عند الوردي

### أ – الفكر الاجتماعي

الفكر صورة الواقع . ويدخل ضمن الفكر أنواع سياسي، اقتصادي ، ديني، جمالي .... حتى ننتهي بالاجتماعي حامل جميع أنواع الفكر . ومن بديهيا ت الأمور أن الفكر الاجتماعي لا يمكن إلا إن يكون انعكاس للواقع ، وان الفكر على خلاف ذلك لحقته صفات المثالي ، اليوتوبي ، الفلسفي ، وفي هذا يقول الوردي (( إن المفكر المبدع أو أي عبقري أخر ، لا يستطيع إن يصنع نفسه ، إنما هو صنيعة الظروف المحيطة به )) [4].

وليس المبدع أو العبقري عند الوردي هو المتعالي على الفكر الاجتماعي، وإنما هو ذاك الذي استطاع أن يتكلم على الواقع الاجتماعي واستطاع أن يرسم بنى ومرتكزات أفكار ذلك الواقع، لان الإنسان لا يستطيع أن يفكر ((بعقله المجرد، بل هو يفكر بعقل مجتمعه، فهو ينظر في الأمور ، ويميز بين الحسن والقبيح منها حسبما يوحي به المجتمع إليه)) [5] والذي يحتضنه وعليه فانه يجب على الإنسان أو المفكر إن يراعي طبيعة عقل مجتمعه.

(4) د. علي الوردي / منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته / المكتبة الحيدرية / قم الطبعة الأولى 1997 ص164 .

(5) د. علي الوردي / دراسة في طبيعة المجتمع العراقي / دون تاريخ ومكان ص165 .

من هنا حاول الوردي أن يعطي هذا البعد حقه فحسب لابن خلدون هجائه الفلسفة وإبطاله إياها كقاعدة مهمة في علم اجتماع المعرفة تلك هي العلاقة بين الإنسان والمجتمع، (( إن أي إنسان لا ينمو عقله إلا في حدود القالب الذي يصنعه المجتمع له )) [6] وإلا فان الأمر سيحمل عواقب وخيمة (( إن ابن خلدون على أي حال كان يخشى أن يتهمه الناس بأنه فيلسوف ، وهذه التهمة كان لها عواقب وخيمة في أيام ابن خلدون )) [7].

أن الإنسان يحمل دائما انعكاسات الواقع بشقيها المنظور وغير المنظور، فإذا كان المنظور منها محاربة الفلسفة والمشتغلين بها في فترة ما فان اللامنظور منا خاصة النفسي، لا يقل تأثيراً في فعاليته الانعكاسية وهذا ما فسره الوردي من درس ابن خلدون وقد قال عن مقدمته وظروفه النفسية أثناء الكتابة (( يبدو إن ابن خلدون كان قد تأثر بوضع الغربة الذي حل بالإسلام في عصره ، على منوال ما تأثر به زملاؤه الفقهاء)) [8].

أن الفكر الاجتماعي ، الذي أولاه الوردي اهتمامه، لم يكن مطلقا في مقالاته بل هو يحمل مدلولات نسبية ((لان المقاييس التي نميز بها المستحيل والممكن هي في الواقع مقاييس نسبية، إذ هي منبعثة من التقاليد والمصطلحات والمواصفات الاجتماعية التي تعود عليها الفرد أو أوحي

(6) د . علي الوردي / مهزلة العقل البشري / دار الحوراء للطباعة والنشر / بغداد / الطبعة الأولى 2005 ص128 .

(7) د . علي الوردي / منطق ابن خلدون / مصدر سابق / ص255 .

(8) المصدر نفسه ص246 .

بها إليه في بيته أو مدرسته أو ناديه)) [9]. فأصبح من المعقول أن نختلف مع الفلاسفة القدماء الذين وصفوا الضمير الاجتماعي ((بأنه الضمير الإلهي في الإنسان ، وهذا وصف غير صحيح،... أن الضمير نسبي، يتلون بلون المجتمع)) [10].

أن الوردي لم يكن مجرد متتبع لتاريخ الفكر الاجتماعي ، وإنما نظر إلى تاريخ الفكر الاجتماعي من خلال رؤى علم اجتماع المعرفة فأعطى للمعلومة التاريخية تفسير سببي، وبعبارة أخرى تفسير علمي قد يكون مقبول أو مرفوض، إلا انه تفسير حيادي يعطي بعد معرفي مكمل للبعد العلمي بشأن الفكر الاجتماعي.

وتتجلى اجتماعية المعرفة الوردية من خلال ربط الفكر الاجتماعي بمتغيرات خمس هي:

( 1 ) **متغير الجو الفكري** . حين فسر اقتران تأسيس علم الاجتماع بين ابن خلدون وبين أوجست كونت (( يجوز القول بان الأساس الذي وضعه ابن خلدون أصح، وأمتن من الأساس الذي وضعه كونت ، وفيه من الاصالة ما يندر أن نجد مثلها عند كونت، ولكن كونت ظهر في الوقت الذي كان فيه **الجو الفكر** ي في حاجة ماسة إلى علم الاجتماع ، فلقيت صيحته في هذا السبيل أذنا صاغية، وأخذ علم

(9) د . علي الوردي / خوارق اللاشعور / دار الحوراء للطباعة والنشر / بغداد / 2004 ص12 .

(10) د . علي الوردي / الأحلام بين العلم والعقيدة / المكتبة الحيدرية –قم / الطبعة الأولى 1379 ص85 .

الاجتماع ينمو بعده ويتطور حتى وصل إلى هذا الوضع الذي نشهده اليوم))[11].

(2 ) **متغير المقايسة غير السليمة** (( عيب مؤرخينا أنهم ينظرون في الحوادث الماضية بمنظارهم الحاضر ويقيسونها بمقياس عصرهم ، وهذا هو سبب عجزهم عن حل الكثير من الألغاز التي انطوت عليها صفحات التاريخ )) [12]. ((وينسون الفارق الكبير بين مراحل التطور الاجتماعي))[13].

(3 ) **متغير الرؤية السياسية** وغياب الرؤية الاجتماعية فيصبح الفكر الاجتماعي التنظيري ناقصا ، عاجزاً عن التفسير الشامل، بل أحادي النظرة، بؤبؤي البصيرة، وهنا يسطع تفسير علم اجتماع المعرفة الوردي في تقييم الفكر الاجتماعي حين يتكلم عن ظروف وفكر محنة الإمام ابن حنبل مما كان له أثار سيئة على الفكر الاجتماعي العربي وتصويره على انه المجتزئ، ذو التفسير الأحادي (( ومن المؤسف إن نرى المؤرخين لا يهتمون بهذا الحادث (حادث المحنة) إلا من حيث مساسه بأمور السياسة ، وهذا ديدنهم في كل حادث من حوادث التاريخ ينظرون فيه من ناحيته السياسية، ويهملون ناحيته الاجتماعية والفكرية )) [14].

---

(11) د . علي الوردي / منطق ابن خلدون / مصدر سابق / ص264 .

(12) د . علي الوردي / مهزلة العقل البشري / مصدر سابق / ص202

(13) د . علي الوردي / وعاظ السلاطين / دار الحوراء للطباعة والنشر / بغداد / الطبعة الأولى 2005 ، ص195 .

(14) المصدر نفسه، ص241 .

(4 ) **المتغير ألتنفيسي** . وهو متغير متصل بالجانب الواقعي وقد أمسى متصل بالتاريخ ويأخذ جانبين هما :

**تفسيره ( الوردي )** لظاهرة الأحلام الشعبية حين يربط زيادة فعاليتها تحسنت ظروف الناس وارتفع مستواهم ألمعاشي))[15].

**وتفسيره** لظاهرة دفن الموتى قرب المراكز المقدسة ، وهو تفسير يحمل مدلول نفسي قد لا يرتضيه بعض النقاد أو العامة ويعمد إلى المقايسة في ذلك التفسير، (( أنهم قد اعتادوا على الالتجاء إلى الوسطاء ، يبعثونهم في حاجاتهم ، إلى الحكام ، وكلما كان الوسيط أعظم جاها لدى الحكام ازداد احتمال النجاح في وساطته، وهم يحسبون الله ، كحكام هذه الدنيا ، إذ هو في نظرهم لا يقضي حاجة لهم ، أو يغفر لهم ذنوبهم إلا بتأثير الوسطاء والشفعاء))[16].

**(5 ) نسبية الفكر الاجتماعي** ،وهي الأخرى تأتي على صعيدين:

**الصعيد الأول :**يتصل به شخصيا( الوردي ) واعترافه بنسبية أحكامه ، وهذه النسبية تدل على الوجه المعرفي لعمل الوردي الفكري حيث يعلق على نتاجه الفكري ودراساته (( إلى أن الآراء التي وردت فيها لم تكن نهائية ، فقد غيرت البعض منها وأبقيت البعض الأخر على حاله وهذا أمر لا اعتذر عنه ، فالبحث العلمي من شانه التغيير والتطوير)) [17].

(15) د . علي الوردي / الأحلام بين العالم والعقيدة / مصدر سابق / ص139 .

(16) د . علي الوردي / دراسة في طبيعة المجتمع العراقي / مصدر سابق / ص253 .

(17) د . علي الوردي / المصدر نفسه /ص 5 وص38 .

**الصعيد الثاني :** هو اعتقاد الوردي بنسبية الفكر الاجتماعي وقد دلل على ذلك بمثل (( اجتمع بعض رجال الدين من المسلمين في مؤتمر له عقدوه في القدس قبل سنوات، وكان قصدهم من هذا الاجتماع ، أن يتفقوا على عقيدة واحدة..... اجتمعوا ثم تفرقوا، وكانت النتيجة، أن كل واحد منهم رجع إلى قومه يقول لهم، لقد دافعت عن الحق بكل قواي ولكنهم لم يسمعوا قولي، ولو سمعوه لزال الخلاف بينهم، لانتصروا على العالم )) [18]

## ب : الاطار الفكري

تعد طروحات الوردي الاجتماعية ذات طابع علمي، وقائمة على أساس منهجي، وهي تستمد علميتها ومنهجيتها من خلال البناء النظري الذي طرحه، تحت مسمى الإطار الفكري وإذا ما علمنا بان إطاره الفكري جاء في كتابه خوارق اللاشعور الذي يأتي متسلسلا بالمرتبة الثانية من سلسلة مؤلفاته ، أدركنا بأنه كان يعتمد عليه في باقي المولفات .

إن الإطار الفكري رغم بساطته البنيوية الا انه يشكل مرجعية مهمة في تحليله الاجتماعي لانطوائه على مفهوم المعنى ، ولا يخفى على ذوي الاهتمام أهمية مصطلح المعنى والفهم الفيبري للفعل الاجتماعي .

يقول الوردي عن معنى الإطار الفكري (( إن الإطار الفكري الذي ينظر الإنسان من خلاله إلى الكون ، مؤلف جزئه الأكبر من المصطلحات والمألوفات والمفترضات التي يوحي بها المجتمع إليه ويغرزها

(18) د. علي الوردي / مهزلة العقل البشري / مصدر سابق / ص 169 – 170

في أعماق عقله الباطن. والإنسان أذن متأثر بها من حيث لا يشعر، فهو حين ينظر إلى ما حوله لا يدرك إن نظريته مقيدة ومحددة ، وكل يقينه انه حر في تفكيره)) [19].

أن الإطار الفكري الذي طرحه الوردي ينطوي على بعد نفسي، وهو يعكس نقطة مهمة في فكر الوردي حيث تتضح الفرويدية بشكل جلي وهو ما سنبحثه تحت مسمى خوارق اللاشعور.

ان العمق النفسي للإطار الفكري يكتسب عمقه من تفسير الوردي له على انه راسب متأصل في أعماق النفس، وان كان يتمايز عن الطرح الفرو يد ي بأنه ذو طابع فكري– اجتماعي تتولى عملية التنشئة الاجتماعية غرسه (( على مدى أجيال عديدة وليس من الممكن زوالها حالا بمجرد تغيير نظامنا الاقتصادي والسياسي انها ليست طفحا طارئا نشا في يوم واحد حتى يمكن أزالته في اليوم الثاني، أرجح الظن أنها ستبقى فعالة تؤثر في سلوكنا مدة طويلة )) [20] فالإطار الفكري أذن ليس مجرد مرجعية نظرية يعود أليها الإنسان العراقي ويصبح من السهولة معها تغييره لان ((الإطار شي كامن في اللاشعور والإنسان لا يستطيع أن يتخلص من شي لا يشعر به)) [21]. فيصبح الإطار الفكري وفق هذا التصور مرجع قيمي يحدد الكثير من السلوك الاجتماعي ويأتي الوردي بمثال ليدلل على قيمة إطاره الفكري على مجموعة من المتفرجين على مظاهرة في شارع الرشيد ببغداد حيث ((أن كل واحد من هؤلاء المتفرجين ينظر الى ناحية معينة من المظاهرة ويهمل غيرها، أي أن كل

(19) د . علي الوردي /خوارق أللشعور / مصدر سابق / ص47 .

(20) د . علي الوردي / الأحلام بين العلم والعقيدة / مصدر سابق / ص330 .

(21) د . علي الوردي / خوارق اللاشعور / مصدر سابق / ص48 .

واحد ينظر اليها من خلال اطار خاص به، وهو اذن لا يكاد يرى الا ما يظهر في بؤرة ذلك الاطار))[22].

ان النص اعلاه يكشف في حقيقة الأمر عن نسبية الفكر الاجتماعي ، التي تمثلت بتنوع مستويات التنشئة الاجتماعية.

ان التصور الوردي للإطار الفكري ، هو من بين ما جلب النقد له، فمن ناحية كيف يكون فكرا اجتماعيا ويكون متعدد بتعدد الأفراد، ومن ناحية أخرى كيف يجوز لهذا الإطار المتجزئ ان يكون أداة للحكم على العالم ؟

للإجابة على هذا السؤال يكفي ان نتطلع الى نقد الوردي للاتجاه العقلي والتفسير الافلاطوني الذي يتبنى تصورات كلية تجاه الطبيعة البشرية، اسمع الوردي يقول في وعاظ السلاطين ص 5 (( وقد ابتلينا في هذا البلد بطائفة من المفكرين الافلاطونيين الذين لا يجيدون الا إعلان الويل والثبور على الإنسان لانحرافه عما يتخيلون من مثل عليا ، دون ان يقفوا لحظة واحدة ليتبينوا المقدار الذي يلائم الطبيعة البشرية من تلك المثل))، فيصبح من الطبيعي ان يكون الإطار الفكري اطار عام يأخذ بعين الاعتبار تنوع الطبيعة البشرية بتعدد الافراد وتنوع الخبرات التي اكتسبها الأفراد لانه من الطبيعي ان لا تكون المعلومة او الخبرة التي يكتسبها الفرد هي عينها التي يكتسبها الفرد الاخر ، ويؤكد على ذلك الوردي حين يعلق على مثل المظاهرة بالقول ((هذا المثل الذي ذكرناه عن

(22) د . علي الوردي /خوارق الاشعور / مصدر سابق / ص50 .

المظاهرة يكاد ينطبق على الكثير من الحوادث النفسية التي يواجهها كل منا في كل يوم )) [23].

## ج – المنهج

تتمثل قيمة أي عمل فكري نظري او تطبيقي بطبيعة المنهج المتبع في البحث. وتحدد طبيعة الموضوع المبحوث ( موضوع الدراسة ) دائما طبيعة المنهج. اذ لا يجوز ان يحتكم الباحث الى منهج ما لانه شائع مثلا في البحث او لانه يمتاز بالبساطة. لانه ستكون نتائج البحث على خلاف الضرورة العلمية.

والوردي طرق النظريات الاجتماعية ومناهج البحث فأختار ما وجده ملائما للمجتمع العراقي، فكان باعتقاده (( أن اصح طريقة لدراسة المجتمع العراقي هي تلك التي جاء بها العالم الألماني ماكس فيبر وهي التي تعتمد على التفهم ، وتكوين المثال النموذجي فهي ملائمة لطبيعة مجتمعنا وظروفه الخاصة)) [24].

ويبد ان الوردي قد اختار هذا المنهج لسببين هما متصلان بطبيعته (التفهم، والنموذج المثالي).

أما التفهم فان الباحث لا يستطيع ان يدرس المجتمع دوت ان يكون متفهما، لوضعه الأجتماعي والاقتصادي والتاريخي، والى حد متميز، نفسيته ، وهذه النقطة الأخيرة تكون عصية على الباحث، ولعل تصفح بسيط لطبيعة المنهج

(23) د. علي الوردي/ خوارق اللاشعور، المصدر السابق / ص 50 .

(24) د . علي الوردي / دراسة في طبيعة المجتمع العراقي / مصدر سابق / ص7 .

الفيبري توضح دوافع الوردي في اختيار هذا المنهج للبحث، وهي تتلخص بما ياتي:

1 – (( تفسير الكلمات التي تعبر عن الاوضاع والظروف الاجتماعية تفسيرا يتفق مع طبيعة تصرفات الافراد.

2 – لما كانت الكلمات التي تصف العلاقات الإنسانية متعلقة بالأهواء والعواطف البشرية ، أي تدور حول وصف طبيعة الإنسان الانفعالية والنفسية فانه من المتعذر على خبير فصل دراسة القيم عن دراسة الحقائق فصلا كاملا لهذا اضطر الى ايجاد طريقة تجمع بين الحقائق والقيم المتداخلة وهذه الطريقة سميت من قبله بطريقة النموذج المثالي لدراسة الأفعال الاجتماعية .

3 – اكتشافه لطريقة النموذج المثالي التي سهلت عملية دراسة الانفعالات والعواطف الفردية التي تكمن في الفعل الاجتماعي دراسة موضوعية مجردة من الخيالات والتميزات))[25].

إن ملاحظة بسيطة او قراءة اولية لمؤلفات الوردي تكشف بوضوح جم تمثله لمبادى هذا المنهج ، حيث يطرح مقولات الافراد ويسرد الحوادث والوقائع على مستوى رأيت، أخبرني بلغته كشوهد واقعية ، ومن ثم يبدا تفسيره لها من استجلاء متضمناته الادراكية كمعنى فيتشابه هنا مع فيبر في إشارتهما إلى (( المعنى الذي يحمله الفاعل للفعل ، وهو المعنى الذي يجب على العالم المجتهد ان يسعى للوصول

(25) البروفسور دينك ميتشل / ترجمة ا . د أحسان محمد الحسن / دار الطليعة بيروت ط2 1986 / ص254 .

اليه وفهمه..... كما هو الحال لدى الظاهراتيين )) [26] و يقول الوردي عن اسلوبه في الكتابة (( أعود فاقول ان الاسلوب الحديث في الكتابة هو أن تجعل الالفاظ وسيلة للتعبير عن المعاني وكلما كانت الافاظ أقدر في اداء وظيفتها كان الأسلوب أفضل .يؤسفني أن أجد الطلاب..... يتدربون على الأسلوب القديم أي اسلوب الزيات والجاحظ والتوحيدي فاذا تخرجوا صاروا يهتمون بالافاظ أكثر من اهتمامهم بالمعاني )) [27].

من الظاهر في تاريخ العلم الاجتماعي ان علم اجتماع المعرفة هو امتداد لمدرسة التفاعل الرمزي ، ولا يخفى ان هذه المدرسة كان محورها الاول هو المعنى الاجتماعي للفعل الاجتماعي.

من اجل رسم معالم المعرفة الاجتماعية دون رفض او تمييز لأي مسار من مساراتها ذلك ان (( معرفة المعرفة ، أي معرفة مدى ارتباط اشكالها بالاطار الاجتماعي هي مهمة علم اجتماع المعرفة الرئيسية)) [28] وتلك كانت مهمة الوردي الأساسية حتى قيل في حقه (( الوردي ليس مؤرخا فهو وصاف، حذر في اعطاء الموقف)) [29] وتلك مهمة عالم اجتماع المعرفة البحث عن المعنى ووصفه دون اعطاء حكم ما .

(26) ارفنج زايتلن / النظرية المعاصرة في علم الاجتماع / ترجمة د . محمود عودة و د . إبراهيم عثمان / ذات السلاسل / الكويت 1989/ ص 281- 282 .

(27) حميد المطبعي / علي الوردي يدافع عن نفسه / المؤسسة العربية للدراسات والنشر / بغداد 1987 / ص109 .

(28) د. فرد ريك معتوق / تطور علم اجتماع المعرفة من خلال تسعة مؤلفات أساسية / دار الطليعة بيروت ط1 1982 ص5 .

(29) حميد المطبعي / مصدر سابق / بغداد 1987 ص27

ان علم اجتماع المعرفة يقتضي ان يكون اولا مهتما بالحدث التاريخي كي يكون تصويره للفعل الاجتماعي في زمن ما تصويرا دقيقا ، دون ان يعمد الى كتب التاريخ في الاخذ منها لبيان موقع الفعل الاجتماعي منها بالنسبة الى تفسير الحاضر يقول ابن خلدون (( ان الاخبار اذا اعتمد فيها على مجرد النقل، ولم تحكم اصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والاحوال في الاجتماع الانساني..... فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق)) [30]. خاصة وان علماء اجتماع المعرفة الماركسين منهم على الخصوص يذهبون الى القول الى ان (( المعرفة قد شوهت ووجهت توجيها معينا.... وهذا ( التشويه ) يمكن دراسته من خلال النظر الى ماضي المجتمعات البشرية )) [31] واطلاع بسيط الى مؤلف الوردي لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، تجده انه قد هى للكشف عن الفكر الاجتماعي كثيرا من السرد والوصف التاريخي بعودته الى المصادر الموضوعية يقول عنها احد الكتاب (( وبحسب خبرتي فان مكتبة الوردي تحفل بأمهات الكتب والمصادر تبلغ اليوم خمسين ألف كتاب ....فأنت تجد فيها كل ما يتصل بالمجتمع العربي والعراقي تقريبا)) [32].

ثمة نقطة جوهرية متصلة بمنهج البحث عند الوردي تلك هي مفردة الشك، والمطالع لمؤلفات الوردي يكاد ان يجد في كل فكرة مطروقة تلك المفردة حتى أخذ عليه الكثير من القراء والباحثين مأخذا في هذا الصدد ويعلق في هذه النقطة في كتابه الأحلام بين العلم والعقيدة (( هناك في كتبي ناحية أخرى لم يرضى عنها بعض القراء هي أتباع طريقة التشكيك حيث كنت أكثر من استعمال لعل، او

(30) مقدمة ابن خلدون / تحقيق حامد احمد الطاهر / دار الفجر القاهرة ط1 2004 ص21

(31) البروفسور دينكين ميتشل / معجم علم الاجتماع / مصدر سابق ص234 .

(32) حميد المطبعي / علي الوردي يدافع عن نفسه / مصدر سابق / ص71 .

ربما.....)) [33] ونجده في ( مهزلة العقل البشري ) يعلل ذلك بالقول (( أن من شرائط المنهج العلمي الدقيق ان يكون صاحبه حائرا قبل ان يبدا بالبحث))[34].

ان مبدأ التشكيك يدل على انه ( الوردي ) كان ممن قد استخدم علم اجتماع المعرفة كمنهج للبحث، فالاطلاق في الحكم تناقض مع الحقيقة، واذا ما علمنا ان النسبية الركن الأول في علم اجتماع المعرفة المانهايمي (نسبة إلى كار ل مانهايم) والتي تنص على انه ((يستحيل على المعرفة ان تكون مطلقة، إن في المجال النظري أو في المجال التطبيقي)) [35] واذا ما علمنا راي الوردي في النسبية ((فسطوع البرهان أمر نسبي، اذ هو ساطع بنظرك لانه موافق لعقائدك المدونة او رغباتك الخاصة، اما في نظر غيرك فهو ليس ساطعا ولا واضحا)) [36] ادركنا بوضوح مدى تمثل الوردي لعلم اجتماع المعرفة في بحثه وتنقيبه عن الحقيقة الاجتماعية، كمنهج بحث معرفي .

استكمالا لمنهج الوردي المعرفي نشير الى نقطة مهمة يسعى عموم الباحثين الى ابرازها تلك هي الموضوعية والحياد العلمي المفترض في الباحث.

(33) د . علي الوردي / الاحلام بين العلم والعقيدة / مصدر سابق / ص315 .

(34) د . علي الوردي / مهزلة العقل البشري / مصدر سابق ص36 .

(35) د . فردريك معتوق / تطور علم اجتماع المعرفة ...../ مصدر سابق / ص140 .

(36) د . علي الوردي / مهزلة العقل البشري / مصدر سابق ص73 .

هذا المبدأ المفترض طرحه علميا وحوله من افتراض الى واقع، لتشميره ساعديه في الكشف عن ما اعتقد من امراض لحقت بالمجتمع حتى أثار حفيظة المجتمع، دون ان يابه لما يمكن ان يلحقه من نقد.

يقول أحد الباحثين معلقا على اراء الوردي ((ان فرضيات الوردي (وهي ازدواجية الشخصية العراقية، صراع البداوة والحضارة ، التناشز الاجتماعي) شغلت المجتمع العراقي في منتصف هذا القرن (العشرين) وجعلته يدخل في مناقشات وتحليلات سيولوجية، عنى بها النقاد والكتاب والمفكرون في ذلك الوقت وقد يعود ذلك... الى جرأة الباحث في تناول موضوعات اجتماعية يتردد الأخرون في تناولها..... بيد ان الوردي غاص في اعماق المجتمع العراقي ودرس الظواهر العامة والخاصة ، المتناقضة والمنسجمة، ورصد الامراض الاجتماعية))[37].

وتلك ميزة امتاز بها علم اجتماع المعرفة يقول عنها مانهايم لمن اختص بعلم اجتماع المعرفة من الباحثين (( يجب ان لا يتأثروا بمعالم التركيب الاجتماعي لمجتمعهم ، ويجب ان يتحرروا من القيود التي يفرضها المجتمع مع الأفراد الاعتياديين نظرا لتحملهم ثقل المسؤولية بكاملها التي تنعكس بمشاكل وامور الاغتراب والموضوعية والانتقاد )) [38].

واخيرا ربما يتساءل باحث او شخص ما، اذا كان الوردي مدركا لمنهجه في البحث، فلماذا لم يعلن عن ذلك صراحة، وللاجابة على هذا التساؤل فاننا سنورد

(37) معن خليل عمر / رواد علم الاجتماع في العراق / مصدر سابق ص15 – 16 .

(38) دينكن ميتشل / معجم علم الاجتماع / مصدر سابق ص 235 .

نصا لاحد المهتمين بعلم اجتماع المعرفة يقول (( لقد حاول بعض العلماء الاوربيين الدخول الى مجال علم اجتماع المعرفة دون ان يسعوا لان يحددوا لمهمتهم اطارا نظريا متكاملا ومترابطا ، ومكملا لفروع علم الاجتماع المعروفة حتى ايامهم ، كما حاول لوسيان ليفي – برول واروميل دوركهايم ، وسبيترم سوروكن معالجة بعض المسائل المعرفية دون التمكن من استخلاص ثوابت هذا العلم بشموليته، اما تجارب ابن خلدون والفرنسي ميشيل دي مونتين فهي بمثابة الادراك الاولي لأطر علم اجتماع المعرفة)) [39].

يصبح من الطبيعي للوردي، خاصة وان الوردي قد غادر امريكا وانشغل بما وجده من ميدان خصب للبحث الاجتماعي في المجتمع العراقي في نفس الفترة التي شهدت ظهور هذا العلم الجديد في مؤلف طرحه كارل مانهايم بعنوان ((ابحاث في علم اجتماع المعرفة سنة 952 )) [40].

(39) د . فردريك معتوق /تطور علم اجتماع المعرفة /مصدر سابق ص7 .

(40) المصدر نفسه، ص138 .

# القسم الثاني

## 2 – ملامح علم اجتماع المعرفة عند الوردي

### أ – خوارق اللاشعور

يعد البحث في علم اجتماع المعرفة من الأمور المضنية لما يتطلبه من حضور وتراكم معرفي في أكثر من اختصاص ، الفلسفة ، التاريخ ، علم النفس وسواها، من اجل الإحاطة بموضوع البحث. إلا انه دائما هناك ، ، تخصص، يطغى على بقية التخصصات يكون محور اهتمام الباحث في التحليل يوليه عظيم الأهمية، وكان نصيب علم النفس اكبر عند الوردي .

الوردي وعلم النفس ، قد يبدو ذلك معادلة غير مقبولة لدى البعض، إلا إنه في خوارق اللاشعور وهو الثاني من سلسلة أعماله كما أسلفنا ، وضع بعض ملامح منهجه ، ونجد مكانة بارزة لعلم النفس لديه في التفسير الاجتماعي، وملاحظة بسيطة لبعض العناوين الثانوية لأسماء كتبه الرئيسة ، تجدها تبحث في نفسية المجتمع العراقي ، التي يبنيها على أحاديث ووقائع وأحداث لاحظها او أخبره عنها شخص ما أو بعبارة أخرى يبنيها على تحليله لمعنى الفعل الاجتماعي وغالبا ما يأخذ هذا المعنى شكلا أو أساسا أو بعدا نفسيا.

لكن هذا الجانب النفسي لم يولى الاهتمام المطلوب على حد راي الوردي ((لقد ربحنا في حياتنا المدنية الجديدة من ناحية ، وخسرنا من ناحية، فلقد تقدمت لدينا أساليب الحياة المادية تقدما عظيما ، بينما تأخرت فينا اساليب النفس وطرق استثمار قواها الخارقة)) [41].

لقد بلغ اهتمام الوردي بعلم النفس انه يبدي تعجبه تجاه الناس الذين يناقشون موضوع اللاشعور عند فرويد دون (( ان يقفوا لحظة ليتدبروا ما ،على ابصارهم وأذواقهم من قيود لا شعورية)) [42].

ويعلل الوردي اهتمامه بعلم النفس بالتجارب التي مر بها والالام التي عاناها من اناس رفعوا البراقع الاجتماعية (( فنشأت عندي رغبة في أن أعرف عن طبيعة البشر شيئاً))[43].

واذا كانت رغبة الكشف ماثلة في طفولته فانها تحولت في كبره الى تخصص تقول ملامحه انه يقرب من علم اجتماع المعرفة ذلك هو علم النفس الأجتماعي الذي حدد الوردي محتواه بانه (( دراسة الانسان من حيث تكوين شخصيته وعلاقة ذلك بالبيئة التي ينشا فيها في طفولته والبيئة التي تحيط به في كبره )) [44].

وما ذلك التحديد الا ويقارب مفهوم علم اجتماع المعرفة من انه علم يدرس علاقة الفكر بالواقع وذلك ان الشخصية يمثلها الفكر، والواقع انما هو البيئة التي ينشا فيها الانسان. وشاهد هذه المقايسة نصا نورده من خوارق اللاشعور، حين

(41) علي الوردي / خوارق اللاشعور / مصدر سابق ص 176 .

(42) المصدر نفسه، ص51 .

(43) حميد المطبعي / الوردي يدافع عن نفسه / مصدر سابق ص 34 .

(44) المصدر نفسه، ص48 .

يفسر الوردي اصرار فرويد في التاكيد على العامل الجنسي بشكل متطرف ، فيقول الوردي عن فرويد انه (( قد تأثر بمحيطه الاجتماعي ، فقد كان في فيينا قبل الحرب العالمية الاولى، يوم كانت نساء الطبقة الارستقراطية هناك قد شبعن من ناحية الطعام ، وجعن من الناحية الجنسية حتى ابتلين جراء ذلك بمختلف الامراض النفسية ...ولو أن فرويد عاش بين البدو مثلا لربما تصور اللاشعور مؤلفا من حب القوة والشهرة وبعد الصيت بدلا من الشهوة الجنسية )) [45]، وما هذا التفسير الا انه من صلب اجتماع المعرفة .

يمكن ان نوضح الجانب النفسي عند الوردي بثلاث اهتمامات او مجالات: اعجاب، تفسير ثم تحليل علمي .

أما الإعجاب فيتمثل من اعتقاده بانطواء اللاشعور على قوى خارقة ((تستطيع ان تقود الفرد في سبيل النجاح لو أحسن استثمارها وطهرت مما يلحق بها من ادران الهوى والعاطفة الممسوخة ، واني لأظن بان ما يسمى بالحظ عند العامة ناتج عن استثمار هذه القوى اللاشعورية )) [46].

ويأتي الإعجاب باللاشعور بدعوته او امنيته في تأسيس جمعيات متخصصة بدراسة اللاشعور في العراق ، خاصة وان العالم قد شهد مثل ظهور هذه الجمعيات مثل (( جمعية المباحث النفسية في بريطانيا 1882 وتأسيس فروع لها في فرنسا وأمريكا وهولندا والدنيمارك..... بعد نجاحها في برامجها )) [47].

(45) د . علي الوردي / خوارق اللاشعور / مصدر سابق ص44 .

(46) المصدر نفسه / ص 40 .

(47) المصدر نفسه / ص 144 – 145 .

أما التفسير فكان على المستوى الشخصي حين يفسر كرهه لاغاني فريد الاطرش تفسيرا لا شعوريا بلغة فرويد (( فأنا ربما كنت اكره شخصا في الماضي، وكان له صوت كصوت فريد ألاطرش، فنسيت الشخص بمرور الزمن ولكن ذكرى صوته كامنة في اعماق لا شعوري )) [48].

أخيرا التحليل العلمي لانجاز ابن خلدون مقدمته ، ولكي تستقيم صورة التوضيح لابد قبلا من تحديد مفهوم اللاشعور عند ( الوردي ) وهو عنده يتكون من (( محتويات ثلاث

1 – تكون في اجلى مظاهرها في الانسان حين تصفو نفسه ، وتَخْلُصُ من اوشابها وقيودها .

2 – مؤلف من الرغبات المكبوتة والعقد النفسية

3 – القيم الاجتماعية )) [49].

ان تفسير المحتوى الأول إنما عنى الابداع كما اوضحنا في مفهوم الاعجاب فقد صفت نفس ابن خلدون فأبدع ، والمحتوى الثاني يقول عنه الوردي ((ان لا شعور ابن خلدون كان انذاك مفعما بالمعلومات والتجارب، ولابد لتملك المعلومات والتجارب ان تتفاعل هناك وتتلاقى)) [50]. ثم المحتوى الثالث موضوع القيم الاجتماعية، وقد توزعت ايام ابن خلدون على مجالي العلم والسياسة فعانى

(48) حميد المطبعي / علي الوردي يدافع عن نفسه / مصدر سابق ص188 .

(49) د . علي الوردي / خوارق اللاشعور / مصدر سابق ص219 .

(50) د . على الوردي /منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته / مصدر سابق ص156 .

لذلك (ابن خلدون) حسب تصوره ( الوردي) [51] صراعا نفسيا جراء حبه لهما معا.

## ب – المعرفة الاجتماعية

اذا كان السلوك الاجتماعي هو النمط الحركي للفكر الاجتماعي، فان المعرفة الاجتماعية - هي الوجه الصوري- له. وقد حاول الوردي ان يرسم صورة المعرفة الاجتماعية من خلال تصوراته للشخصية العراقية، واذ تمثلت تلك المعرفة بفرضياته الثلاث: ازدواج الشخصية صراع البداوة والحضارة، والتناشز الاجتماعي، فان جمع متغيرات الفرضيات يكشف ان الفرضية الثالثة تكاد ان تكون متضمنة في الفرضيتين الاوليتين، وبعبارة اخرى ان متغيرات فرضية التناشز الاجتماعي موجودة ضمن متغيرات الفرضيتان الاخرتان، من هنا سيقتصر بحثنا على فرضيتين: ازدواج الشخصية، وصراع البداوة والحضارة .

### ( 1 ) ازدواج الشخصية العراقية

يقول الوردي عن الشخصية العراقية (( لقد لاحظت بعد دراسة طويلة بان شخصية الفرد العراقي فيها شي من الازدواجية، واني وان كنت غير واثق كما قلت انفا من نتيجة هذه الدراسة ولكني، أجد كثيرا من القرائن تؤيدني فيما أذهب اليه))[52].

(51) د. على الوردي /منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته / المصدر سابق، ص 124 125، 138.

(52) د . علي الوردي / شخصية الفرد العراقي – بحث في نفسية الشعب العراقي على ضوء علم الاجتماع الحديث / محاضرة مطبوعة على شكل كتب / دون تاريخ وبلا مكان ص36 .

ان حكم الوردي اتجاه الشخصية العراقية يكشف عن نقطة جوهرية في علم اجتماع المعرفة تلك هي الاحاطة ، والمعلومة الشاملة عن مجتمع البحث، ولقد كان الوردي كما اسلفنا مهتما منذ بداية حياته ببحث الطبيعة البشرية الا ان اختصاص الاجتماع جعله مهتما بالشخص من ناحية المجتمع اكثر من اهتمامه بالشخصية. كما يكشف هذا النص عن تمثله ( الوردي ) لمفهوم النسبية فهو بعد الدرس والتحقيق لم يقل رايا قاطعا، وان أسنده بالبراهين والقرائن .

ان شمولية الباحث في اجتماع المعرفة [53] جعلت الوردي لا يكتفي بمشاهداته من الوقائع الحياتية ، وانما دفعته الى ان يعود الى تاريخ المجتمع العراقي ليأتي ببرهان تاريخي عن المجتمع العراقي اورده نقلا عن راي لابو حيان التوحيدي تجاه المجتمع العراقي (( لعلني لا اغالي اذا قلت بان ابا حيان التوحيدي هو اول من اكتشف ظاهرة ازدواج الشخصية في أهل زمانه استمع اليه يقول في وصف اهل بغداد ، والحكمة على السنتهم ظهر منها على افعالهم ومطالبتهم بالواجب لهم اكثر من بذلهم الواجب عليهم)) [54]، فالوردي كانه يريد القول انه يكشف عن راي لم يدركه أحد من قبل .

ويكشف الوردي عن علمه في اجتماع المعرفة في بحث هذا الموضوع ربما اكثر من المواضيع الاخرى ، وذلك حين يعرض لاسباب الازدواج اذ ان هذا الاستعراض يكشف عن مبدا الشمولية في اجتماع المعرفة حيث انه يحدد نواح ثلاث متصلة بما يمكن ان نسميه اذا جاز التعبير بالنواحي الخارجية، ويلحقها بتفسير نفسي فرويدي الى حد ما يمكن ان نسميه الناحية الداخلية .

---

(53) راجع موضوع المنهج من هذا البحث .

(54) د . علي الوردي /اسطورة الادب الرفيع / المكتبة الحيدرية – قم /الطبعة الاولى 1379 ص228 .

اما النواحي الخارجية فهي متصلة بالناحية الحضارية، والأجتماعية، والنفسية والتربوية ( التي تؤثر على نفسية الطفل).

الحضارية منها متعلقة بالصراع بين القيم البدوية المحاربة ، من جهة، والقيم او الحضارة الزراعية الخاضعة من جهة ثانية .

اما الناحية الأجتماعية فقد اطلق عليها ظاهرة ( التجزٌ ) ويقصد به انقسام اسلوب الحياة بين المرأة والرجل والطفل فلكل منهم مجاله الخاص ، المرأة في البيت ، الرجل في المقهى ، الطفل في الزقاق .

وأخيرا اسلوب التربية القاسي خاصة في الكتاتيب حيث ياتي الوالد بطفله الى الكتاب ويقول لشخصه ، هذا ولدي خذه اليك فادبه، اللحم لك والعظم لي .

ثم يلحق الوردي هذه التفسيرات الخارجية بتفسير فرويد لداخل نفسية الفرد العراقي حين يصف انفصال الطفل عن المرأة حين يبلغ الحلم ، وما يترتب على ذلك حسب رأيه من تأثيرات حيث يضطر ان يكبت ميوله الجنسية العنيفة ثم يدعي انه عفيف لا يميل الى المرأة ولا يحب التقرب منها[55].

كل هذا برأيه ادى الى ازدواج شخصية العراقي الى حد جعله ( الوردي ) يقول (( لعلني لا اغالي اذا استنتجت من ذلك ان الفرد العراقي بوجه عام أصبح ذا شخصيتين مختلفتين فهو في احدى شخصياته بدوي شديد الاباء سريع الغضب، وهو في شخصيته الثانية حضري خانع يكثر من الشكوى والعتب على الزمان، وهو يتخذ أي واحدة من هاتين الشخصيتين تبعا للظروف المحيطة )) [56].

(55) د . علي الوردي / شخصية الفرد العراقي / مصدر سابق ص39 – 55 .

(56) د . على الوردي / الاحلام بين العلم والعقيدة / مصدر سابق / ص328 .

ثم يأتي الوردي بعد ذلك التقديم المعرفي- النظري، الى واقعه المعاش لياتي بالادلة والبراهين التي تؤيد مقولته ، نكتفي بذكر مثلين اوردها اما الاول يتعلق بمدينة النجف الاشرف ولعل صور الازدواج فيها اوضح فقد كان هناك (المعممون) أي رجال الدين، والمسلحون الذين يستندون الى القيم البدوية لتبرير سلوكهم ( وهو ما سنعرض له بعد قليل ) (( وكان هناك عداء خفي بين المعممين والمسلحين ، وقد يظهر هذا العداء علنا في بعض الاحيان ، كما ويتخذ صورا شتى. ان كل واحدة من الفئتين لها محيطها الخاص بها وقلما تجمعت في صعيد واحد، لكن المشكلة تكمن في العامة من أهل النجف الذين ليسوا معممين ولا مسلحين، فهولاء يعيشون في حالة ازدواج عجيبة اذ هم يخضعون في حياتهم لنظامين متناقضين من القيم الاجتماعية فهم تارة متدينون يستمدون قيمهم من المعممين وهم تارة اخرى عشائر يستمدون قيمهم من المسلحين)) [57] اذ انه ((يجب ان لاننسى ان الكثيرين منا متحضرون ظاهريا بينما هم في اعماقهم لا يزالون بدوا أو أشباه بدو))[58].

أما المثل الثاني فهو أكثر عمومية يستقيه من أحداث الحرب العالمية الأولى عندما دخل الإنكليز في العراق فكان (( العامة أثناء حركة الجهاد متحمسين يدعون الله أن ينصر الإسلام على الكفر ويتلون دعاء زين العابدين لنصر حماة

(57) د . علي الوردي / لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحيث ج 4 بغداد/ مطبعة الشعب 1974 ص409 .

(58) المصدر نفسه ص 402 .

الثغور..... ( وبعد هزيمة تركيا ) أصبحوا يدعونه للانتقام من الأتراك الضالمين ، وصار شعارهم عندئذ الكفر يدوم والظلم لا يدوم )) [59].

## ( 2 ) صراع البداوة والحضارة

شكل العراق دائما موطنا حضريا ففيه نشأت اولى الحضارات، وفي العصور الإسلامية مركز استقطاب حضاري، اما في عصور التخلف والانحطاط ، فقد كانت المدن العراقية مستودع الغلال والتموين فتهب القبائل البدوية حين تبخل عليها بيئتها بغزو المدن للتزود بالمؤن ((لو درسنا تاريخ اية مدينة من المدن العراقية لوجدناه غير خال من معركة وقعت بينها وبين بعض القبائل المجاورة في يوم من الايام ، من الامثلة على ذلك ما وقع بين مدينة النجف وقبيلة بني حسن، وما وقع بين مدينة بلد وقبيلة شمر، وما وقع بين مدينة الديوانية وقبيلة الخزاعل))[60].

عد الوردي ذلك الصراع الاجتماعي ظاهرة اجتماعية لها اثارها على نفسية الفرد العراقي ومن ثم فكره الاجتماعي، اخذ يرددها في كتبه مرة بعد مرة [61] ذلك ان الكثير من ابناء القبائل لم يكونوا مجرد غازين، بل مستقرين فتجدهم بعد جيل او جيلين قد أصبحوا حضريين من بعض الوجوه، مع احتفاظهم ببعض المسلمات من القيم البدوية ولما كانت الثقافة البدوية يغلب عليها طابع التغالب [62] اصبحت ((عادات المغالبة شائعة في الاسواق على نطاق واسع، فالبائع ينظر الى الزبون كمثل ما ينظر البدوي ، الى من يريد ان ينهبه او يغزوه، لكنه يختلف عن البدوي

(59) د . علي الوردي / لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحيث ج4، المصدر السابق، ص 401 .

(60) المصدر نفسه ص 401 – ص185 .

(61) المصدر نفسه ص 403 .

(62) د . علي الوردي / دراسة في طبيعة المجتمع العراقي / مصدر سابق ص 38

بانه يحاول التستر والمراوغة ، بينما البدوي مكشوف السريرة ينهب علانية ويعتبر المراوغة ضعفا وجبنا )) [63] ويغوص الوردي الى اعماق النفس ليعود بعادة او سلوك ( أكل الديون ) من قبل الاشخاص، (( او المماطلة فيها على الاقل، مع انهم يملكون القدرة على أدائها ، وهم قد اعتادوا على ذلك بحيث لا يجدون فيها عيبا، وربما افتخروا بها احيانا)) [64].

لم يجمع الوردي معلوماته من بيانات امبيريقية ولا دراسات احصائية او اجتماعية ، دائما جمعها من الواقع بطريقة اثنوغرافية ، والى حد ما مستقاة من تصورات الافراد او التجارب او الاحداث التاريخية وسواها.

وجاء الحكم على هذه الدراسات من جنسها بعبارة اخرى ان الوردي لم يجري أي دراسة ومن أي نوع لأثبات صحة افتراضاته ، فترك احكامه عامة شاملة كثيرا ما يتداولها الناس، على مستويات البعض اعتبرها مقبولة والبعض الاخر اعتبرها من جنس الانشاء والبعض الاخر اعتبرها مجرد افتراضات قد تصدق اذا ما درست، وتباينت الاراء والمواقف تجاهها وقد يكون مصدر التباين اننا كبشر قد نسلك هذا السلوك او ذاك اذا كان بحكم القيم او بحكم ما نملك من مشاعر وعواطف، وعلى العموم ان افتراضاته تخص بعض مؤشرات الطبيعة البشرية .

على العموم فان نتيجة الحكم التي اصدرها الوردي تجاه الشخصية كانت قاسية اذا ما نظر اليها الاخرون وقيموها، من باب حب الانسان عموما والعراقي خصوصا لجانب الكمال في شخصيته الوطنية، إلا انه وهو يدخل في معترك

(63) د . على الوردي /لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ج2 / مطبعة الارشاد بغداد 1971 ص7.

(64) المصدر نفسه، ص218 وص219 وص406 .

التفاعل في الحياة الاجتماعية يصطدم بما اثاره الوردي فيترجم عن الوردي مقولته البليغة لمن اراد العيش في العراق ان عليه ((ان يدرك ما في اعماق نفوسهم (العراقيين) من دوافع بدوية وحضرية، فيداري كل جانب منهم بما يلائمه. ان هذا امر صعب على أي حال ، ولكنه ضروري ،لمن يريد ان يعيش في العراق ويتوخى النجاح فيه)) (65).

## ج – الواقع الاجتماعي

سمة الواقع الاجتماعي حسب اعتقاد الوردي هي التغير الاجتماعي، وهو قول عام ينطبق على الناس جميعا ((فهم سيظلون دائبين في حركتهم ، وسر الحياة الاجتماعية كامن في هذه الحركة الدائبة فلو أن البشر وصلوا الى ما ينشدون لوقفت الحياة بهم ولفنيت الحضارة)) (66).

ولقد لقي هذا التغير اهتماما من المفكرين ، وسبب الاهتمام ان كل مرحلة من مراحل العصور او مراحل الحياة الخ هناك فكر يحكم ذلك الواقع الاجتماعي. وقد سيطرت مدرستان فكريتان على التفسير الاجتماعي ، ثم لحقتهما مدرسة ثالثة سنعرض رأي الوردي في كل منها:

**إما المدرسة الأولى:** فهي رأي الوردي للمدرسة الافلاطونية ويقصد بالافلاطونية، الفلاسفة عموما دون ان يكون مقصورا على افلاطون . ويعتقد بان منطق الافلاطونيين هو ((منطق الطبقة المترفة والظالمة، فهم يشغلون الناس بهذا

(65) د . علي الوردي / دراسة في طبيعة المجتمع العراقي / مصدر سابق / ص338 .

(66) د . علي الوردي / مهزلة العقل البشري / مصدر سابق /ص73 .

المنطق)) [67] يسوقون بهذا الفكر بضاعتهم دون ان يكونوا على اتصال بالواقع الذي يتكلمون باسمه ((انهم لم يعانوا من مشاكل الحياة، ما يجعلهم يفكرون فيها تفكيرا واقعيا،... فلا يعرفون ماذا عانى العبيد، وكيف عملوا)) [68] وبعبارة أخرى هم لا يصوروا ما هو كائن ، وانما ما يجب ان يكون دون ان يدخلوا بتفاصيل الحياة اليومية، وفكرها الحقيقي ، فهم غير ممثلين لابناء المجتمع، وانما هم على رأي الوردي وعاظ الامراء يبررون ظلمهم وطغيانهم .

**المدرسة الثانية** : أصدر الوردي بحقها كتابا سنة 1955 أسماه بمهزلة العقل البشري يهاجم فيه هذه المدرسة التي اتخذت من العقل أداتها البحثية، وهو فيه من العيوب، ما يزيفها لنا أصحاب المنطق والعقل متى ((سيطر على أذهان الكثيرين منا)) [69] انه منطق الاستعلائيين حسب تصور الوردي فان ((اصحابه قد اعتادوا ان يعيشوا بتفكيرهم الاجتماعي في أبراج عاجية فإذا اتيح لهم ان يمروا بالازقة، والاسواق وخالطوا العامة، نظروا اليهم نظرة استعلاء وشموخ، واخذاوا يشمئزون مما يجدونه بينهم من عادات سخيفة او عقائد باطلة)) [70] .

أخيرا المدرسة الواقعية التي ينادي بها الوردي درسة الفكر المعاش بلا بناء ذهني افلاطوني او تصور استعلائي، انها مدرسة تفسر الواقع بسلبيلته وايجابياته، ترسم المعاناة كما توضح معالم الفرح انها مدرسة علم اجتماع المعرفة ، حيث يمتزج الفكر بالواقع فيوثق الفكر لثقافة المجتمع وقيمه.

(67) د . على الوردي / وعاظ السلاطين /مصدر سابق ص22

(68) د . على الوردي / منطق ابن خلدون / مصدر سابق ص8 .

(69) د . على الوردي / دراسة في طبيعة المجتمع العراقي / مصدر سابق / ص373 .

(70) المصدر نفسه ص372 .

## 3 – نتائج البحث

خلص البحث الى جملة من النتائج يمكن اجمالها بما ياتي:

1 ) اهتمام الوردي بالفكر الاجتماعي الذي يصنعه المجتمع ، والذي يسهم بدوره في خلق فكر الانسان – الفرد من المجتمع .

2 ) امتياز الفكر الاجتماعي للمجتمع وللفرد حامل هذه الفكرة بالنسبية .

3 ) ارتباط الفكر الاجتماعي بمتغيرات خمسة هي :

أ - الجو الفكري

ب - المقايسة غير السليمة

ج -اعتماد الرؤية السياسية دون غيرها

د - المتغير التنفسي المتمثل بالاحلام الشعبية

هـ- نسبية الفكر والمفكر

4 ) خروج الوردي بصياغة تنظيمية لأداة مهمة أسماها ( الاطار الفكري ) انطوت على على قيد نفسي واخر قيمي، اعتمدها الوردي في تحليلاته الاجتماعية للمعرفة

5 ) أتضح من البحث ان الوردي كان مهتما باجتماع المعرفة كمنهج بحث، وقد تبينت معالمه بمقايستها بما ثبت عن علم اجتماع المعرفة كمنهج من أدبيات علم اجتماع المعرفة

6) اهتمام الوردي بعلم النفس الفرويدي وعلم النفس الاجتماعي

7) نظر الوردي للمعرفة الاجتماعية في فرضيات اهتم الباحث باثنين منها ، هما ازدواج الشخصية ، وصراع البداوة والحضارة

8) امتازت افكاره بمهاجمتها الفكري الفلسفي والعقلاني ، واهتمامها ببحث الجانب الواقعي .

9) يتضح ان هناك علم اجتماع معرفة ذو حدود ومعالم واضحة لدى الوردي من خلال محاور ( نتائج ) البحث اعلاه

10) يمكن على الإجمال القول بان علم اجتماع المعرفة عند الوردي كان قسمين الأول اهتم ببحث الجوانب النظرية كالفكر الاجتماعي، الإطار الفكري ثم المنهج.

أما القسم الثاني فكان أكثر اهتماما بالنواحي التطبيقية على الصعيد النفسي والصعيد الاجتماعي ببحث الشخصية العراقية ضمن الواقع الاجتماعي المعاش.

# *Abstract*

# *Sociology of Knowledge upon Ali Al-Wardi*

***Dr. Shafeek I. Al-Sālih*** [(*)]

It is possible to say that Al-Wardi did not write in Sociology of knowledge, as theoretical science, but he uses it as method of research as associated with his wide books in one hand, and focused in searching partially on sociology of knowledge on other hand.

The sociology of knowledge constitutes two parts as far as Al-Wardi is concerned.

1- Part one regards components of sociology of knowledge which include some topics connected with the theoretical subjects, like social thought, the thought frame , and methodology.

2- Part two: the character is a topic of sociology of knowledge, and theoretical topics , but it is realistic and empirical on the social life like parapsychology of unconsciousness, the social knowledge , and social reality.

(*) Dept. of Sociology – College of Arts / University of Mosul.